

## حوار حول النفس

## شخصيات المحاوره

- صونيا: صاحبة المنتدى الأدبي سيدة ثرية جميلة مثقفة تملك فكراً ليبرالياً وتؤمن - بأن الحرية والعدالة أشياء تستحق أن يناضل الإنسان من أجلها
- سليمان: مثقف يحمل لواء العقل وسيادة قوانينه -
- حسام: شاعر مبدع يملك ثقافة موسوعية، محبط -
- سعيد: متعهد بناء بيوت سكنية -
- ابتسام: مديرة ثانوية خاصة -
- مارغريت: متعهدة حفلات أعراس وطرب -

صونيا: كم أنا سعيدة هذه الليلة لاكتسابي معارف جددًا، هكذا أفهم الحياة حركة مستمرة على محور ثابت، تجددًا مستمرًا بالوجوه والأسماء والصفات، ويبقى الجوهر ثابتاً في مفهوم كماله، الناس يتجددون ويتغيرون ومفهومنا للإنسان يبقى ثابتاً، أعمالنا تتغير وتبديل ورغباتنا تتمظهر بتمظهرات جديدة، ولكن شوقنا لتحقيق إنسانيتنا يبقى ثابتاً، الأشياء الجميلة التي تتفاعل معها تتغير وتتجدد وحبنا للجمال يبقى ثابتاً، الحقائق التي نستطيع إدراكها دائماً تتجدد وغايتنا في التوحد مع الحقيقة تبقى ثابتة.

أهلاً بكم أصدقاء قدامى وجدداً يقفون تحت لواء التفطيش عن المعرفة المتطورة من جزئياتها المحسوسة للوصول الى كلياتها المجردة، المعرفة التي تُعشق لجمال ذاتها لا لأي منفعة تدرها أو نستدرها منها، المعرفة التي هي لذة العقل في طريق معراجة للعودة الى الينبوع الذي فاض منه، المعرفة التي هي السعادة عندما تتوحد مع النفس وتصبح جزءاً منها بل تصبح هي ذاتها. أهلاً بكم وجوهاً مشرقة وأصحاب عقول نيّرة وجماعة أنس وخفة ظلّ ورفاق منادمة أبرار.

حسام: كل شيء في تجدد مستمر ولا شيء ثابتاً. البارحة مساءً كنت في صحبة مارغريت في سهرة طرب عارمة، كانت مارغريت تتفجر أنوثة دافئة اصطكت ركبي وأنا أبادلها الرقص، هي تثب وتتأرجح كإعصار إستوائي، وأنا أتجرجر وراءها كخرقة مبلولة، بقدر ما أسعدني توثب الأنوثة فيها بقدر ما أتعسني إحساسي بالعجز عن اللحاق بموكب الحياة الصاخب. اليوم أنا أيضاً بصحبة مارغريت واليوم أراني أتذوق جمالها كما تذوقته بالأمس ولكن جمالها اليوم غير جمالها بالأمس، لقد جدد الجمال ذاته، لون الدفء الحارق تغير، رائحة الأنوثة المتوثبة تبدلت، وهذا التجدد دائماً الى مزيد من التطور والإرتقاء. أنا لا أوّمن بالمتحرك الذي يدور على ثابت، كل شيء يتحرك، منذ البدء كانت الحركة ولا شيء إلا الحركة.

سعيد: أنا لم أفهم ماذا قصدت صونيا بالمعرفة المتطورة من جزئياتها المحسوسة الى كلياتها المجردة، لا شيء برأيي كلياً فكل الأشياء جزئية، والكلي ليس إلا

مجموع هذه الجزئيات وهذا ما درسناه في علمي الحساب والرياضيات. وكل شيء في الوجود محسوس ولا شيء مجرد، والذي لا نستطيع أن نتعامل معه بحواسنا الخمس هو شيء غير موجود حتماً وإلا نكون قد دخلنا في عالم الاشباح والأرواح والجنّ والعفاريت وكل ما فبركته ماكينة الفكر الغيبي لتحديد من نشاط الناس وتطورهم وارتقائهم وإبقائهم رهائن أو هام وأكاذيب تساعد على إستغلالهم. وابتزازهم.

سليمان: الكليات المجردة هي الغاية التي تقف عندها الجزئيات المحسوسة في تحركاتها نحو تحقيق ذواتها، لأنّ هذه الكليات المجردة هي كمال الجزئيات المحسوسة، والشيء عندما يصل الى مرتبة كماله يهدأ ويستكين فتظنه غير متحرك، ولكنه في الحقيقة متحرك حركة بلغت حدّ الكمال بتوازنها فتمظهرت بمظهر السكون وهي ليست ساكنة.

إبتسام: معنى هذا الكلام أنّ كل الجزئيات المحسوسة تتحرك باتجاه كمالها الذي هو الكليات المجردة، والكليات المجردة تتحرك بدورها الى أين وهي الكمال بعينه؟

سليمان: كمال الكليات المجردة هو الله وكمال الجزئيات المحسوسة هي الكليات المجردة. والحركة هي جوهر هذا الوجود لأن أصل الحركة هو شوق الكليات الى الله وهي التي فاضت عنه تسعى لإعادة الإتحاد به من جديد وحركة الجزئيات هي باتجاه الكليات لأنها كمالها وغايتها

مارغريت: أنا شخصياً كل تحركاتي غايتها ربح المال أولاً وإسعاد الناس بأن أقدم لهم أعمالاً فنية ترضي أذواقهم وحالاتهم النفسية

حسام: ولكن زبائن الحفلات الطربية والأعراس هذه الأيام أغلبهم من أصحاب البترودولار وسماسرة الأرض وتجار المخدرات وتجار الرقيق الأبيض، وما يرضي هؤلاء الناس هو التماجن والتهتك وملء البرامج بوصلات الفكاهات البذيئة والتعليقات السخيفة، وليس ما يرضيهم هو الألحان الموسيقية الإبداعية وغناء الطرب الأصيل والرقص الراقى الذي يعبر عن مرونة الجسد وشفافيته وإنطلاقه الى المطلق مع ألحان متناغمة منطلقة الى المطلق. أنا شخصياً أعتقد أنّ هدف الفنّ

ليس إرضاء الزبائن وإسعادهم، بل جذبهم الى الجمال الكلي عبر صقل أنواعهم وتهذيب مشاعرهم بألحان متناغمة وأصوات متوازنة وأجساد شفافة

مارغريت: أنا أستعين بمطربات يملكن القدرة على الحركات المغرية واللفتات الجذابة والتصرفات التي تثير الشهوات، ولا يهمني إن كانت أصواتهنّ متناغمة أم ناشزة، دافئة مخملية أم حادة تشبه نبيح الكلاب، فطالما أنّ المستمعين يعجبهم هذا النوع فأنا أقدم لهم ما يعجبهم ويجعلهم يدفعون أكثر. عملي ليس عملاً رسولياً لأطلب كمال الفنّ في كمالاته المجردة كما يقول سليمان، ففي هذا المجال الحقّ هو ما يريده الجمهور وليس ما يستقيم لمنطق العقل

صونيا: قيمة الفنّ الأصيل هو أن يرفع مستوى الجماهير إليه ولا يهبط هو الى مستوى الجماهير. إمروّ القيس في معلقته رفع مستوى الجماهير الجاهلية في تذوق الجمال الأنثوي حتى غدا كل الشعراء بعده وجمهورهم من أصحاب الأنواق الرفيعة الشفافة. وكذلك فعل الرحابنة في الموسيقى والغناء الحديث، لقد ساهموا في صقل أنواع الناس والسمو بمداركهم الفنية في تذوق الكلمة والنغم والصورة الى أعلى المستويات. أما أن ينحدر الفنّ ليرضي جماهيره في دغدغة المشاعر الجنسية حتى حدود الشبق، وفي إثارة الإنفعالات البهيمية حتى حدود النهيق، فهذا لعمرى هو التملق الذي ابتلينا به في جميع تصرفاتنا حتى هدمنا كل إيجابيات تراثنا ولم يبق في متناول يدنا إلا السلبيات

سليمان: كل هذا الهرج والمرج في الأفكار والمشاعر والأفعال سببه برأيي هو عدم التمييز بين الأشياء التي تطلب لذاتها والأشياء التي تطلب لغيرها، ولقد قلنا في محاوره سابقة أنّ الشيء الوحيد الذي يطلب لذاته هو المعرفة التي تتصاعد في معراج تطورها حتى تتواصل مع العقل الكلي فيغمرها النور الشعشعاني الفاض عليها من الذات الإلهية، عندها ندرك الكليات المجردة ثم نعود في جدل هابط لنسقط معرفتنا بها على الجزئيات المحسوسة فتتكشف لنا القوانين السببية التي تنظم هذا الوجود بشطريه العاقل وغير العاقل، وهذا النوع من المعرفة يتجوهر بجوهر النفس ويصبح جزءاً لا يتجزأ من ذلك الجوهر. أما الأشياء التي تطلب لغيرها مثل المال والسلطة فهي تطلب للانتفاع بها في إرضاء الشهوات وإشباع الرغبات وكلها

يحكمها قانون العقل وردة الفعل الأمر الذي يجعلها تنقلب على نفسها ويلد ضدها من أحشائها.

إبتسام: سنظل نخبط خبط عشواء حتى نستطيع بأقصى درجات العمق أن نعرف نفوسنا معرفة يقينية.

حسام: أنا أعرف نفسي جيداً، إنها مولعة بالجمال تتبعه أينما كان وأينما حلّ في العاقل وفي غير العاقل، في الطبيعة وفي الإنسان، في الكلمة وفي اللحن، في اللون وفي الصوت، ونفسي تعرف أنّ أبهى تجليات الجمال الكلي هو في عينين حوراوين يفيض منهما الأنس الدافئ وفي بعض الأحيان الأنس القلق المضطرب، وكذلك في شفتين ناضجتين ترتعشان لا لسبب إلا لسبي عقول الشعراء مثلي. إنه الجمال الذي يتوثب متمرداً على المألوف كلما توثب ثدي ونهد متحدياً مألوف القميص وأزراره. والمنديل وحرمة.

إبتسام: في موضوع النفس أفضل أن أكون مستمعة وليس متكلمة فلكل فرس فارسها ولكل ميدان رائده.

سعيد: لا أعترف بوجود النفس حتى أقيسها بمتري وأزنها بميزاني وأتلمسها بأصابعي، أنا لا أوّمن بأي شيء لا أتعامل معه بحواسي الخمس.

مارغريت: زبائن حفلاتي لا يهتمهم من أمر النفس إلا تلك النفس الأمّارة بالإقبال على الم لذات المحمومة والإنغماس في الشهوات المتطرفة التي تتحدى كل قوانين الطبيعة عن سابق تصور وإصرار.

صونيا: من غير سليمان ينام ملء جفنيه عن شواردها فهيّا أعطنا ما عندك عن النفس أيها الصديق سليمان.

سليمان: أنا شخصياً أعتبر أنّ الإنسان نفسين وليس نفساً واحدة، قد تتعجبون لهذا المنطق الذي يبدو للوهلة الأولى أنه يخالف كل قواعد المنطق. النفس الأولى هي قوة الحياة في الجسد وهي ما يسمى إصطلاحاً النفس الحيوانية، وهذه النفس يتشارك فيها الإنسان والحيوان فهي المسؤولة عن النمو والتولد وعمل الحواس الخمس

الجسمانية، وهي مسؤولة أيضاً عن الحواس الجرمانية في الحيوان والإنسان وهي الحس المشترك والمخيلة والذاكرة، وبما أنّ الجسد البشري هو كمال ما أنتجته الطبيعة من الكائنات الحية، كانت النفس الحيوانية في الإنسان أكثر تطوراً منها في سائر الحيوانات وخصوصاً في حقل الحواس الجرمانية، ولهذا استطاع الإنسان بعقله الطبيعي الذي هو ما يستر النفس الحيوانية أن يكتسب بعض الصناعات غير المعقدة والأعمال اليدوية الروتينية، وهذه النفس الحيوانية تموت بموت الجسد لأنها عرض وليست جوهر، إنها حرارة الدم كما يسميها البعض، أو قوة الحياة في الكائن الحيّ.

إبتسام: هذا يعني أنّ المشاعر والأحاسيس من إنجاب الى الشيء أو نفور من الشيء أو محبة الشيء أو كراهيته أو الغضب وما يجره من عدوانية، أو الميل الى أخذ الشيء اغتصاباً أو تقاتل الذكور لأجل استمالة الإناث أو طلب الرئاسة على الجماعة، كل ذلك من إفرازات النفس الحيوانية

صونيا: لا شك أنّ تنافس الذكور على الإناث والإقتتال في طلب الرئاسة هو من إفرازات النفس الحيوانية، كل شيء يستبطن الغضب والتعدي والإستتار هو من إفرازات النفس الحيوانية وهو شيء لا يشرف الإنسان أبداً

سعيد: كل أطباء العالم لا يؤمنون إلا بهذه النفس الحيوانية التي تتحدثون عنها، ولا يؤمنون إلا بالعقل الطبيعي الذي يصبح بالتعليم والدريّة عقلاً مكتسباً نكتسب به المعارف المتيسرة لنا، كل الأطباء يؤمنون أنّ هذه النفس تموت بموت الجسد وما عدا ذلك أو هام وأباطيل

مارغريت: كثيراً ما نرى أنّ بعض الحيوانات يملكون عقلاً طبيعياً أكثر رقياً من عقل الإنسان. فالحمام الزاجل مثلاً تأخذه بعيداً عن عشه عشرات الكيلومترات وتطلقه فيعود الى عشه دون أن يضيع في المتاهات. بينما أكثر الناس إذا أبعدتهم عن الوسط الذي يعيشون فيه يضيعون ويتوهون ولا يتلمسون طريق الهدى أو العودة.

إبتسام: وكيف نفسر أسرار هجرة الطيور آلاف الأميال على مسار واحد لا يتغير بتغير الأعوام وبتغير الطيور نفسها، وكذلك هجرة الفراش مئات الأميال وعلى نفس المسار، ناهيك عن سمك السلمون وهجراته العجائبية من أعماق المحيطات الى أعالي الأنهار.

سليمان: إنها قوانين العقل الكلي الجبرية المنغزة في جبلة هذه الكائنات الحية، وهي قوانين ثابتة لا تتغير من جيل الى جيل أو من زمن الى زمن، وأصحابها لا يعونها لأنهم لا يعون أنفسهم.

إبتسام: فهنا من كل ذلك أنّ النفس الحيوانية هي قوة الحياة في الكائن الحيّ، وهي في جسم الإنسان أرقى مما هي عليه في أجسام الحيوانات الأخرى وخصوصاً في عمل الحواس الجرمانية.

صونيا: بل هي في جسم الإنسان قد وصلت الى مرتبة كمالها وذلك لسبب بسيط هو أنّ الإنسان بتركيبته الجسدية هو عالمٌ صغير قد انطوى فيه العالم الأكبر كما يقول ابن سينا، فجسده أكمل الأجساد هندسياً فهو الجسد الحيواني الوحيد الذي يأخذ شكل الدائرة التي هي أكمل الأشكال الهندسية، وهو حيوان منتصب القامة وغيره منبطح، وهو الذي يستعمل يديه بما لا يستطيع أي حيوان آخر أن يفعل. وكل ذلك من أجل قدرته على إستقبال النفس الناطقة الحية العاقلة الحرة المريدة المسؤولة وذلك لسبب بسيط هو أنها قبسٌ من نور الله الشعشعاني الخالد غير القابل للفناء.

حسام: هناك أسباب أخرى وأسباب تليها، كيف سيكون الإنسان غاية هذا الوجود وسدرة منتهاه، وكيف ستكون كل الموجودات ابتداءً بالفلك المحيط ففلك الأبراج فأفلاك الكواكب فالإستقصات الأربعة مسخرة لخدمة هذا الإنسان إذا لم يكن فيه خميرة إلهية هي النفس الناطقة.

سعيد: معنى كلامك هذا أنّ الإنسان خالد وليس بفان، فهل يعقل ذلك والبعض يقول أنّ تراب الأرض نفسه ليس إلا بقايا ما تفتت من أجسادنا وبالتالي الناس يدوسون على بقايا أناس سبقوهم، والأرض التي نزرعها هي بقايا جنث قد تحللت، وما تنتجه من حبوب وثمار ليس إلا بقايا أجساد أسلافنا فنحن في الحقيقة نأكل بعضنا البعض.



إبتسام: هذا كلام رجل سوداوي المزاج، ما قيل سابقاً يستبطن مقولة أنّ الإنسان خالد وفان في نفس الوقت. فهو بجسده ونفسه الحيوانية فان وذلك لسبب بسيط هو أنّ الجسد مركّب ونحن نعلم أنّ كل المركّبات ومهما طال بها الزمن لا بدّ أن تعود وتتحلل الى المواد التي تركّبت منها. والنفس الحيوانية ليست أكثر من قوة الحياة في ذلك الجسد أي حرارة الدورة الدموية ولذلك هي فانية بفناء الجسد. أما النفس الناطقة فهي قبسٌ من نور الله خالدة بخلود ذلك النور الإلهي

مارغريت: لقد سمعت الكثيرين يقولون أنّ الإنسان عندما يموت تصعد نفسه الى الفضاء الرحب وتعيش هناك في الفضاء لأنه لطيف يناسب لطافتها، ولذلك تكون سعيدة هناك، أما عندما كانت في قفص الجسد فكانت تعيسة لأن الجسد كثيف وكثافته لا تتناسب مع لطافتها فهي أسيرة في ذلك الجسد وهي راغبة دوماً وأبداً في الإنعتاق والإنطلاق الى حيث موطنها الأصلي في عالم اللطافة، وبناءً على ذلك إنهيّار الجسد بالموت يعتبر راحة للنفس وانعتاقاً من سجن العبودية الى عالم الحرية

سليمان: هذا كلام منمّق جميل في ظاهره قبيح في باطنه لأن النفس الناطقة لا تستطيع أن تمارس وعيها وعلمها وعملها إلا من خلال جوارح الجسد وحواسه وآلاته، ولذلك وجب عليها عندما تغادر الجسد المتهدم بالموت أن تحلّ فوراً في جسد ولد للتوّ لتعود وتستأنف رحلتها الى ما لا نهاية. أما إذا افترضنا وجود النفس خارج إطار الجسد "وهذا مستحيل" فهذا يعني أنها نفس بالقوة وليست نفساً بالفعل لأنها لا تستطيع أن تمارس ذاتها أو تكتسب أي علم أو عمل. ولهذا أصبحت علاقتها بالجسد تماماً كما علاقة المعنى بالحرف فنحن جميعنا نعلم أنّ المعنى غير الحرف ولكننا نعلم أنّ المعنى لا يستطيع أن يحقق ذاته إلا من خلال الحرف. وهكذا هي العلاقة الجدلية بين النفس والجسد

صونيا: إذا كانت النفس الحيوانية هي المسؤولة المباشرة عن وظائف الجسد الميكانيكية، وكون الحواس الخمس والحس المشترك والمخيلة والذاكرة أجزاء لا تتجزأ منها، وإذا ما كان العقل الطبيعي القادر على تعلم الكثير من الصناعات ذات الطبيعة الروتينية منها فما هي يا صديقنا سليمان إذن كينونة النفس الناطقة وما هي وظيفتها بالذات؟

سليمان: لنبدأ أولاً بالتفكير، ألم يقل ديكارت أنا أفكر إذن أنا موجود، لقد تلمس ديكارت هويته الذاتية عبر التفكير، والتفكير هو التأمل والتحليل والإستنتاج والقياس والإستقراء والخلق والإبداع. أول إبداعات التفكير وأهمها كان اللغة وبها استطاع الفرد أن يتواصل مع الجماعة وعبر هذا التواصل ولد المجتمع.

مارغريت: ولكن للحيوانات أيضاً مجتمعاتها فهل تملك الحيوانات لغات خاصة بها؟

حسام: الحيوانات تملك تجمعات إسمها القطيع ولا تملك مجتمعات فالمجتمع هو ثمرة تفاعل الأفراد مع بعضهم وترابطهم حيث يشكلون وحدة عضوية لها خصائصها التي تميزها عن غيرها كالعقل الجماعي والذوق الجماعي والرؤية الجماعية والهدف الجماعي، وهذا ما لا تملكه تجمعات الحيوانات، ثم إن المجتمع الإنساني يحكمه قانون التطور والإرتقاء أو التهقر والإنحطاط بينما التجمعات الحيوانية تسيرها قوانين جبرية بناءً على نمط لا يتغير ولا يتبدل بتبدل الأزمنة والأمكنة.

إبتسام: اللغة هي الحضارة الإنسانية بأمها وأبيها، فالمعارف التي نكتسبها بالملاحظة والتجربة والتفكير والتأمل نودعها اللغة لينتفع بها جميع الناس وجميع الأجيال، وكذلك الإبداع في حقول الآداب والفنون والعلوم كلها تستودع في مستودع اللغة وبذلك لا تعود ملك أصحابها بل تصبح ملك البشرية قاطبة، ولذلك من يريد أن يخوض غمار موضوع أدبي أو فني أو علمي يطلع أولاً على ما أنجزه الآخرون ويبدأ من حيث انتهوا، أو يحاول تصحيح خطأ ارتكبه غيره وهذا ما يسمى الحضارة الإنسانية، والحيوانات لا تملك هذه الحضارة بل هي تكرر مسلكياتها وعاداتها روتينياً وكأنها تدور في حلقة مفرغة.

سليمان: أريد أن أسأل سؤالاً بسيطاً هل للحيوان الذي يملك نفساً حيوانية بصمة يد تخصه دون غيره من أفراد نوعه أو بصمة عين أو بصمة نفس كما للإنسان؟ الجواب طبعاً لا، هل تعلمون لماذا؟ لأن النفس الناطقة هي التي أعطت الجسد البشري هذه البصمات التي تحدده كياناً متكاملأً مستقلاً له كينونته الخاصة به والتي

تميزه عن سائر الأفراد، أنا التي أعطيتك هويتك كإنسان. بدوني أنت مجرد حيوان أكثر تطوراً من غيرك بقليل.

مارغريت: لم أكن أعرف حتى هذه الساعة أنّ الحيوانات لا تملك شخص كل فرد من أفرادها.

سليمان: هناك ما هو أكثر من ذلك. إذا كان في حوزتك خروف صغير أخذت له عدة صور فوتوغرافية ثم تركته مع الراعي لسنة أو سنتين هل تعودين قادرة على معرفته من بين مجموعة الخراف من خلال ما تملكين له من صور وهو صغير. الجواب بالطبع لا. أما الإنسان فهو يملك ملامح معينة يعرف بها في صغره وشبابه وكهولته وشيخوخته رغم تغيره نمواً وحجماً ووزناً، وهذه الملامح الخاصة به هي تأثير النفس الناطقة على الجسد وهذا ما لا وجود له في الحيوانات لأنها لا تملك النفس الناطقة.

حسام: قال لي أبي ذات مرة وأنا رجل قد تجاوزت الثلاثين ولكني بعينيه ما زلت ذلك الصبي المراهق.. العمر أقصر من أن نستطيع فيه حب امرأة واحدة واكتشاف أسرار أنوثتها والسفر في متاهات عينيها، فما بالك يا ولدي أينما وجدت بريق جمال أنثوي تتبعته كظله، من قال لك أنّ التراكم الكمي يقود الى قفزة نوعية، هذه الفلسفة لا تنطبق على الحب والجمال لأن أصل الحب هو حب الإنسان لله وما عداه ظلال له، وأصل الجمال جمال جلال الألوهة وما عداه ظلال له، وهذا الشيء يتطلب علاقة عامودية وليس علاقة أفقية، هل فهمت يا ولدي ماذا أقول وأنت تعتبر نفسك سيد من يفهم وسيد من يقول؟

وأجبت والدي بتواضع، ولكن لكل امرأة بصمتها الخاصة بها يا والدي هكذا خلق الله البشر لكل فرد بصمة فكره وإحساسه وعاطفته وجماله ولا تزر وازرة وزر أخرى. وضحك والدي بأسى وقال: أنتم الشعراء تزينون للناس قبح الأباطيل والأكاذيب، وتوهمون الناس بأن رذائلهم فضائل وفوضاهم حرية ووقاحتهم جرأة. وعبثاً حاولت إقناع والدي بأن الشعراء هم الذين وضعوا سلم قيم المروءة والرجولة والشجاعة والكرم والشفافية في المجتمعات العربية منذ العصر الجاهلي ولا يزالون.

صونيا: أنعم وأكرم بهكذا سلم قيم تحاولون صياغته بأشعاركم الحرة غير الموزونة  
والمترنة كتصرفاتكم تماماً

حسام: الشعراء حراس الجمال وكهان معبده، لو لم يهذب الشعر مشاعر الناس  
وأحاسيسهم لما استطاع أحد أن يدرك جمال جلال الألوهة ولما استطاع أن يكون  
من عشاق ذلك الجمال

صونيا: قال سليمان أنّ النفس الناطقة هي التي أعطت الإنسان هويته الإنسانية،  
وقال سابقاً أنّ من أبرز مظاهر الهوية الإنسانية قدرة صاحبها على التفكير والتأمل  
وهنا أسأل سؤالاً يبدو في ظاهره سخيلاً هل التفكير والتأمل هما من أجل ذات  
التفكير والتأمل أم هما من أجل غاية وجدا لها وما هي هذه الغاية

سليمان: الإنسان بنفسه الناطقة فيه قبسٌ من نور الله ولذلك غايته القصوى هي  
التشبه بالله من حيث الخلق والإبداع. فالإنسان خلق ليكون خلاقاً مبدعاً وليس مقلداً  
يجترّ ما قاله الآخرون وما فعلوه، ولكن طبيعة خلقه وإبداعه تختلف عن طبيعة خلق  
الله وإبداعه، فالله خلق الأشياء من ذاته وأبدعها من نوره، والإنسان يخلق الأشياء  
مما تراكم في عقله المستفاد ومما قاله الآخرون وفعلوه أي أنه يخلق من شيء  
سبقة إما مدوّن في اللغة حروفاً ومعادلات وإما مخزوناً في أعماق النفس وهو زبدة  
ما اكتسبه في حيواته السابقة من علم وعمل

سعيد: أنا شخصياً أعتبر كل هذه التصورات أوهاام وتمنيات وسبب ذلك أنّ الإنسان  
ذلك الكائن العاقل المغامر المبدع المنتج عزّ عليه أن يرى حياته تنتهي هكذا بكل  
بساطة وبمنتهى العبثية بين لحظة وأخرى وكأن شيئاً لم يكن

لم يستطع تصور ذاته كائناً فانياً وهو الذي ملأ الدنيا أحلاماً وأمانى ومشاريع  
ومنجزات فاخترع خلود النفس وانتقالها من جسد الى جسد لأنه عجز عن مواجهة  
الموت بطريقة أخرى بعد أن جرّب كل الطرق من تحنيط الجثث على طريقة  
الفراعنة الى تحضير الأرواح على طريقة مشعوذي العصور الوسطى وأخيراً وجد  
أنّ أفضل حلّ للمعضلة هو الإيمان بخلود النفس وانتقالها من جسد الى آخر وبهذا  
أقنع نفسه فاستراح وأراح

إبتسام: أنت يا صديقنا سعيد تحاول أن تشجع نفسك بهذا الكلام لأن فكرة الموت تلح عليك باستمرار وأنت لا تستطيع أن تتصور كيف أنك ستترك كل تلك البنائيات والعقارات والأموال التي في حوزتك لتذهب بكل بساطة الى أناس آخرين قد يذكرونك بالخير وقد لا يذكرونك

سعيد: أنا لا أنكر أنني كلما فكرت في الموت أخذت فرائصي ترتعد وإنني كلما توعدت قليلاً أكاد أرى عزرائيل ماثلاً أمامي بأشكاله المرعبة التي تجعلني أرتجف هلعاً، وكثيراً ما فكرت بعبثية هذه الحياة وبأن الله كائن جبار قاس القلب حقود خلقنا ليتسلى بالأمنا ومحننا وهو يستمرئ أن يرانا نرتجف خوفاً وتتقطع أنفاسنا هلعاً، فلماذا أعطانا القدرة أن نحلم ونتمنى ونبني في خيالاتنا عوالم وعوالم، ثم يفنيها بالموت وكأننا حشرات دون أن يرتعش له جفن، ونحن نردد صباح مساء بأنه رحمن رحيم

صونيا: كلامك يدل بصراحة أنه أمامنا حل من حلين، إما أن تكون النفس فانية بفناء الجسد والنتيجة الحتمية لذلك هو عبثية الحياة، وإما أن تكون النفس خالدة تنتقل بالموت من جسد الى آخر وتعيش هويتها الذاتية في كل الأجساد وعندها يصبح للحياة معنى وغاية

حسام: هذا كلام دقيق فمع شعورنا بعبثية الحياة يسقط معنى العقل ومعنى الحرية ومعنى المسؤولية ومعنى الإنسان كائن أخلاقي وتسود شريعة الحياة للأقوى، ومصالح هذا الأقوى وملذاته ورغباته تصبح هي القانون وهي الشرع وهي المبادئ الأخلاقية

مارغريت: أليس هذا ما هو حاصل هذه الأيام؟ فما هم الأقوياء والغربيون مثلاً الذين استهواهم الشذوذ الجنسي يباركون زواج الرجل للرجل ويعتبرون ذلك عملاً أخلاقياً لأن رفضه معناه برأيهم أننا قد عطلنا حق الإنسان في أن يختار لنفسه بملء حرية أن يكون رجلاً مثلياً وهو الذي يريد ذلك ويرغب به

سليمان: من أهم خصائص التفكير هو الحرية وإلا لما عاد التفكير تفكيراً بل أصبح تنفيذ إرادة عليا فوقية، وإذا كان الأمر كذلك أصبح الإنسان روباتاً ولم يعد إنساناً

وعندها تنتفي مسؤوليته عن أعماله، فإذا عوتب على عمل قام به إحتجّ على ذلك بأنه مجرد آلة تسيرها إرادة عليا فهو يشاء ما هي تشاء. أنا شخصياً لا أرى إهانة للإنسان تعادل هذه الإهانة، من هنا نعلم أنّ العقل والحرية وجهان لحقيقة واحدة، وبالعقل والحرية والمسؤولية تكتمل إنسانية الإنسان، وهذه الثلاثة أقانيم يُظنّ للوهلة الأولى أنّ لكل واحدة منها خصائصها الذاتية ثم اتحدت فكونت إنسانية الإنسان. ولكنها في الحقيقة واحد لا ثلاثة، واحد بثلاثة وجوه أو ثلاث إطلاقات.

سعيد: أنا شخصياً ما زلت مصراً على أنّ خوف الإنسان من الموت الذي لا قيامة بعده هو الدافع الرئيسي الذي جعل الإنسان يخترع مثل هذه الفلسفات التي لا يوجد أي برهان حسي على أحقيتها، ولأنّ الأمور هكذا فأنا أنصح كل أصدقائي وأحبائي بأن يبادروا الحياة بكل ما ملكت أيمانهم فلا يؤجلوا أي لذة من الملذات من اليوم الى الغد، وبما أنّ الملذات عند الإنسان هي السلطة فأنصح من يستطيع الوصول إليها بالحق أو بالباطل ألا يدخر جهداً لعدم الوصول.

وثاني الملذات برأيي هي الملكية فعلى الإنسان أن يفعل أي شيء لزيادة ملكيته لأن الملكية هي امتداد لشخصيته، وهنا أتصور أنّ الأولد نوع من أنواع الملكية. ولكن الشيء الوحيد الذي ما زلت أحاول أن أتملكه وكلما كررت محاولاتي عدت بخفيّ حنين هو جسد المرأة، فأنا أحاول عضه ومضغه واختراقه وتدويبه ثم أنظر اليه بعد ساعات فأشعر بأنني غريبٌ عنه وهو غريبٌ عني، بعيدٌ عنه وهو بعيدٌ عني فأعود لألهث وراءه دون طائل.

صونيا: هذا لأنّ تصورك خاطئ من أساسه، فالعلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة هي عقلان يبتان أفكارهما وأحلامهما على نفس الموجة، وعاطفتان تبتان أحاسيسهما على نفس الموجة وأخيراً جسدان يبتان رغباتهما على نفس الموجة. وعلى هذا الأساس تصبح العلاقة مزيداً من تحقيق الإنسان لإنسانيته وليست هراش كلاب ومحاولة إرادة وجسد فرد بامتلاك إرادة وجسد فرد آخر فهذا تعدّ وافتراس وليس علاقة.

إبتسام: كلما حاولت أن أتصور النفس الناطقة بأنها جوهرة خالدة غير قابلة للفناء شعرت بعقدة الذنب وتأنيب الضمير. فمن يملك جوهرة عليه أن يقدرها حق قدرها، وعليه أن يضعها في المكان الذي تستحق، فهل يمكن لإنسان مسؤول أن يمتلك جوهرة حية عاقلة خالدة ولا يصونها من الأوساخ والقذارات. أو ألا يجعلها في خدمة نفس حيوانية تجري مع الدم والصديد وما في البدن من العفونات والرطوبات والسوائل اللزجة. هذا لعمرى أعجب الأعاجيب

حسام: إنه الزمن الرديء الذي يمشي على رأسه ولا يمشي على قدميه، فالنفس الناطقة هي القائدة التي يجب أن تقود النفس الحيوانية تماماً كما المعاني تقود الحروف، ولكن كما أننا في أحيان كثيرة نرى حروفاً جميلة منمقة لا معنى لها، هكذا نرى نفوساً ناطقة تلغي كل صلاحياتها لمصلحة النفوس الحيوانية وما تختزنه من كثافة شهوات وظلامية رغبات ونزق وطيش وميل الى التعدي والظلم والقتال والإغتصاب والإستئثار

مارغريت: هذا الرأي يفتقر الى الكثير من الدقة لأننا نرى الحيوان لا يفترس إلا إذا كان جائعاً، والإنسان يفترس وهو متخم، وذكر الحيوان لا يندفع نحو الأنثى إلا إذا دعته بواسطة إفرازات صادرة عنها، والذكر الإنساني يندفع الى الأنثى حتى وهي تصد ولا تبدي، والحيوان يمتنع عن المأكل والمشرب إذا شبع وارتوى، والإنسان يأكل وعينه لا تشبع ويشرب وكبده لا يرتوي

سليمان: فلنتصور النفس الناطقة هكذا.. جوهر بسيط روحاني خالد غير قابل للتجزئة ولكننا ندرك كنهها لا بدّ من تقسيمها ذهنياً الى أقسام منها العقل الغريزي وهو الوجه الذي نقشت على مرآته كل الحقائق البديهية التي بها نفس الأشياء وهي بغير حاجة الى التفسير. ثم الوجه الثاني وهو العقل المستفاد وهو الطاقة الواعية التي بها نكتسب العلوم والمعارف وننطلق مما اكتسبناه نحو الخلق والإبداع، ثم الوجه الثالث وهو العقل المفارق وهو الطاقة الواعية التي تستطيع أن تفارق الجسد وهي فيه وتحيط بالزمان والمكان وهي في داخله، وبهذا العقل المفارق نتواصل مع العقل الكلي الذي يفيض عليه النور الشعشعاني الإلهي بلا انقطاع فيغمرنا النور الشعشعاني وعندها ندرك الكليات المجردة والمعلومات الإلهية والفضائل البرهانية

ونشعر بأن الله متربع على عرش قلوبنا ولكن هذه المفارقة لا تستمر إلا للحظات ولكنها لحظات تجعلنا ندرك من السعادة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. والعقل المفارق موجود في كل النفوس الإنسانية الناطقة بالقوة ولا يصبح موجوداً بالفعل إلا عند قلائل من الناس الذين اشتغلوا على أنفسهم فصقلوا مرآياها فغدت لطيفة واللطيف الى عالم اللطيف ينجذب ويرقى

سعيد: كلنا يعرف أن الناس يولدون في بيئات مختلفة ومتباينة في تطورها، بعضها غني وبعضها فقير، بعضها متخلف وبعضها متطور، بعضها صناعي تكنولوجي وبعضها رعي زراعي، فكيف يتوفر للعقول المكتسبة الفرص المتكافئة لتتطور وترتقي بما اكتسبته من علوم ومعارف. وكيف ستتوفر لها الفرص لمجاهدة نفوسها وصقلها طالما أنها ما زالت في مراحل الحياة المشاعية والرعية حيث الإناث ينجبن في سنّ العاشرة ويبلغن الشيخوخة في سنّ الثلاثين أو الأربعين. أعطني فرص متكافئة وبيئات متجانسة لجميع الناس لأؤمن بجزء من تنظيرائك هذه، ولأؤمن بالعدالة الإلهية. وأنا بكل صراحة فكرتي عن الله ووجوده وتنزيهه وتنظيمه لهذا الكون الرحيب بكل موجوداته فكرة مهزوزة يكتنفها الشك والإرتياب طالما أن مسألة العدالة الإلهية لا تزال مسألة غامضة، وما أعطي من تفسيرات بأن العالم الآخر سيكون عادلاً بفرص متساوية للجميع هي تفسيرات تعتمد الفكر الغيبي الذي لا يليق بنا إعارته أي أهمية

سليمان: من أهم القوانين التي تضبط مسيرة النفس في تقلباتها في بيئات مختلفة وأجساد مختلفة هو قانون الفعل وردة الفعل التي تساويه في القوة. فالإنسان موجود حيث أوجدته أعماله السابقة في الحيوانات السابقة. أي أن الإنسان هو الذي يحيك عباءة قدره بيديه، فوجدنا اليوم في البيئة التي نحن موجودون فيها ليس إلا ردة الفعل العادلة لأفعالنا التي قمنا بها ونحن بكامل وعينا وكامل حريتنا في الحيوانات السابقة. ولأن الأمر هكذا أصبحت قدرة الإنسان على التطور والإرتقاء أو على الإنتكاس والإرتكاس قدرة يحددها عقله وحريته في ممارسة الأعمال واكتساب العلوم. فهو في حياته هذه إما أن يحاول الكدّ والجّدّ علماً وعملاً حسب ما ترتضيه



قوانين العقل وقوانين الطبيعة عندها يكون قد أسس الى مرحلة تطور وارتقاء في حيواته اللاحقة. وإما أن يمارس الفوضى والتعدي والجهل واغتصاب حقوق الآخرين والإستهتار بالحقائق البديهية والفضائل البرهانية وبكل ما في قوانين العقل من قيم ومبادئ ومعارف، وبكل ما في قوانين الطبيعة من حقائق وعبر، عندها سيكون قد أسس لمرحلة من الإنتكاس والإرتكاس باتجاه البهيمية في حيواته اللاحقة. هذه يا صديقنا سعيد هي العدالة الإلهية بأبهى تجلياتها. إن الله أعطانا العقل لنفكر ونفتش عن الحقيقة ونتناغم معها علماً وعملاً، وأعطانا الحرية في اختيار أعمالنا وأفكارنا وبذلك يكون قد أعطانا القدرة على أن نصنع أقدارنا بأيدينا على مقولة إنما هي أعمالكم ترد إليكم.

مارغريت: أنا أدخل الفرحة الى قلوب الناس فكيف سترد إليّ أعمالى في الحيوانات اللاحقة؟

حسام: إذا كان الفرحة الذي تدخلينه الى قلوب الناس منسجماً مع قوانين العقل وقوانين الطبيعة التي ما يفتأ سليمان يتحدث عنها، فأعمالك سترتد إليك محبة واحتراماً وثقة من جميع الذين تتقاطع حياتك معهم، أما إذا كان الفرحة الذي تدخلينه الى قلوب الناس مخالفاً لقوانين العقل والطبيعة وموافقاً لفوضى الشهوات المحمومة والرغبات المتطرفة وللكتير من الجشع والإغراء سترتد إليك بأن تحلين في بيئة مستنقعة في الفساد والفقر والإستغلال والظلم وستدفعين الثمن قهراً وارتهاناً وجهلاً وفقراً ومرضاً وإحباطاً، وهذا ما لا أظنه سيصيبك لأنك إنسانة جميلة خفيفة الظل وشفافة، تساعدن الضعفاء من أقاربك وجيرانك كما وصل الى مسمعي، خلاصة رأيي أن كل مخلوق جميل هو بالبديهية مخلوق خير ولقد اصطفاه الله ليظهر جماله من خلاله.

صونيا: في هذا المجال أنا أحذر الصديق سعيد بأن يحسن التصرف بثروته الطائلة فلا يبدها على الشهوات الممنوعة عقلاً وعرفاً، ولا يحاول أن يستثمرها للتحكم في مصائر الآخرين ومصادرة شخصياتهم المستقلة واختياراتهم الحرّة، وأن يسعى ليعطي ثروته وظيفة إجتماعية تساهم في إيجاد فرص عمل للبطالين وفرص

إستشفاء للمرضى وفرص تعليم لمن يرغب باكتساب المعرفة ولا تسمح له ظروفه المادية بذلك.

سعيد: الآن فهمت ماذا تعنون، فالإنسان مؤتمنٌ على ثروته وليس مالكاً حقيقياً لثروته، وهو مؤتمنٌ على قوته وليس مالكاً حقيقياً لقوته، ومؤتمنٌ على علومه وليس مالكاً حقيقياً لعلومه. ويجب أن يضع كل ما أؤتمن عليه في خدمة حقوق الإنسان وكرامته ومساعدته على تحقيق ذاته عبر العلم والعمل. هكذا يصبح الإنسان إنبأً شرعياً لله ولا يعود ابن الخطيئة التي حدثونا عنها وابتزونا بها.

إبتسام: مقولة أن الإنسان يصنع قدره بيديه مقولةٌ جريئةٌ جداً لأنها تجعل الإنسان حراً بالمطلق لا سلطة فوق سلطة عقله ولا إرادة فوق قرار إرادته. الآن فقط فهمت ما كان يقوله سليمان بأنّ العقل والحرية وجهان لحقيقة واحدة. لا شيء يفرض من فوق، الإنسان ليس لنفسه، ولذلك الإنسان مسؤول، إنه القانون السببي الذي يربط الحرية بالعقل ويربط المسؤولية بالحرية ويربط وجود الإنسان في هذه الحياة حيث هو موجود بمعارفه وأعماله السابقة في الحيوانات السابقة.

سعيد: بقي شيءٌ واحد لم أفهمه رغم عدم اقتناعي بكل هذه الفلزكات المنطقية، لماذا الإنسان أكثر جشعاً وطمعاً وجوعاً وعطشاً وشبقاً من الحيوان؟ لماذا الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يأكل وهو متخم ويشرب وهو مرتو وينتابه شبق الى النساء وهو شبه عاجز جنسياً.

سليمان: لأن هذا الجشع والطمع والجوع والشبق آت من الجانب الظلامي من النفس الناطقة وليس من النفس الحيوانية كما يظن للوهلة الأولى. ألم نقل سابقاً أنّ لكل فعل ردة فعل تساويه في القوة. وفعل الله في إبداع نفس ناطقة من نوره الشعشعاني كان له ردة فعل ظلامية تساوي في قوتها الجانب النوراني من النفس، فأصبحت النفس رغم أنها جوهرٌ بسيطٌ روحاني غير قابل للتجزئة لها وجهٌ نوراني شفاف عقلائي ووجهٌ ظلماني كثيفٌ شيطاني.

صونيا: ولكن هذا يعتبر ازدواجاً والإزدواج كما أعلم يتناقض مع البساطة.

سليمان: كل شيء في الوجود مزدوج روحاني وجسماني ويبقى الله وحده الأحد الفرد الذي لا يقبل الإزدواج. فالنور ازدوج بالظلام والنور فاض عن ذات الله وليس هو ذاته وهذا النور يمثل العقل والظلام يمثل الإبلّيس، ولذلك العقل الكلي والإبلّيس موجودان بطبائعهما في نفوسنا الناطقة، ولهذا السبب الإنسان هو الحيوان الوحيد الأكثر طهراً من الملائكة إذا استطاع عقله النوراني أن يملك شهواته الإبلّيسية وهو أكثر نجاسة من الإبلّيس إذا استطاعت قواه الظلامية أن تملك عقله النوراني. ولذا يا صديقنا سعيد الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يفترس وهو متخم ويقتل لا ليدافع عن نفسه أو ليأكل بل ليتلذذ بعملية القتل. ويشتهي النساء ويغتصبهن بخياله إذا كان عاجزاً جنسياً. إنه الجانب الظلماني الإبلّيسي في النفس الناطقة، فإذا كان الجانب النوراني سعادته في إدراك الكليات والسعي للتواصل مع العقل الكلي ومن خلاله مع الله فالجانب الظلماني لذته في زرع الفوضى والخراب والقتل والتعدي والشهوات ما ظهر منها وما بطن. وهناك صراع دائم بين النور والظلام في جوهر النفس الناطقة، فإذا انتصر النور أصبح الظلام موجوداً بالقوة وليس موجوداً بالفعل ولكنه لا يتلاشى ويموت بل يكمن مقهوراً، وإذا انتصر الظلام أصبح النور موجوداً بالقوة وليس موجوداً بالفعل ولكنه أيضاً يكمن ولا يتلاشى ويموت.

إنها وحدة وصراع الأضداد هذه هي النفس الناطقة

